ثواب الإنفاق في سبيل الله وآدابه

﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى ۗ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٤﴾﴾ .

أسباب النزول والمناسبة

سبب نزول الآية (٢٦٢): قال الكلبي: "نزلت في عثمان بن عفّان وعبد الرحمن بن عوف ﷺ، أمّا عبد الرحمن بن عوف فإنّه جاء إلى النّبيّ ﷺ بأربعة آلاف درهم صدقة، فقال: كان عندي ثمانية آلاف درهم، فأمسكت منها لنفسي ولعيالي أربعة آلاف درهم، وأربعة آلاف أقرضتها ربّي، فقال له رسول الله ﷺ: ((بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيمَا أَمْسَكْتَ، وَفِيمَا أَعْطَيْتَ)).

وأمّا عثمان، فقال: عليّ جهاز من لا جهاز له في غزوة تبوك، فجهّز المسلمين بألف بعير بأقتابها وأحلاسها، وتصدّق برومة ركيّة كانت له على المسلمين، فنزلت فيهما هذه الآية.

قال أبو سعيد الخدري: رأيت رسول الله ﷺ رافعًا يده يدعو لعثمان، ويقول: ((يَا رَبِّ، إِنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيتُ عَنْهُ، فَارْضَ عَنْهُ))، فما زال رافعًا يده حتّى طلع الفجر، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الآية".[1]

المناسبة: أثبتت الآيات السّابقة أمر البعث، وأنّ النّاس يبعثون إلى دار يوفّون فيها أجورهم بغير حساب، وذكر هنا فضيلة الإنفاق في سبيل الله، وسبل الله كثيرة، مثل نشر العلم ومحاولة القضاء على الجهل والفقر والمرض، وأعظمها الجهاد لتكون كلمة الله (أي دين الإسلام) هي العليا، فمن جاهد بعد هذا البرهان على البعث الذي لا يأتي به إلا نبيّ، فله في جهاده الثّواب العظيم

المعنى العام

﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾﴾.

يقول الحق ﷻ في التّحريض على النّفقة في سبيل الله: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي يتصدّقون بها في سبيل الله، كالجهاد ونحوه ابتغاء مرضاته، قال سعيد بن جبير: يعني في طاعة الله، وقال مكحول: يعني به الإنفاق في الجهاد، من رباط الخيل وإعداد السّلاح وغير ذلك، وقال ابن عبّاس: الجهاد والحجّ يضعّف الدّرهم فيهما إلى سبعمائة ضعف، ولهذا قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ﴾ أي إنّ الحسنة تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وإسناد الإنبات إلى الحبّة مجاز، والمنبت هو الله، وهذا مثال لا يقتضي الوقوع، وقد يقع في الذرة والدّخن في الأرض الطيّبة، بحيث تخرج الحبّة ساقًا يتشعّب إلى سبع شعب، في كلّ شعبة سنبلة. وهذا المثل أبلغ في النّفوس من ذكر عدد

(١) ذكره الواحدي في أسباب نزول القرآن، عن الكلبي، ج١، ص٨٩.

السّبعمائة، لأنّ فيه إشارة إلى أنّ الأعمال الصّالحة ينمّيها الله ﷻ لأصحابها، كما ينمّي الزّرع لمن بذره في الأرض الطيّبة، وقد وردت السنّة بتضعيف الحسنة إلى سبعمائة ضعف. قال رسول الله ﷺ: ﴿فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ﴾[1] وعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ بِنَاقَةٍ مَخْطُومَةٍ، فَقَالَ: هَذِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَبْعُ مِائَةِ نَاقَةٍ كُلُّهَا مَخْطُومَةٌ﴾"[2].

وقوله ﷻ: ﴿وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ﴾ بفضله على حسب حال المنفق من إخلاصه وتعبه في عمله، وبحسبه تتفاوت الأعمال في مقادير الثّواب. ﴿وَاللهُ وَاسِعٌ﴾ أي فضله واسع كثير، لا يضيق عليه ما يتفضّل به من الثّواب، ﴿عَلِيمٌ﴾ سبحانه بنيّة المنفق وقدر إنفاقه.

يمدح الله ﷻ الذين ينفقون في سبيله، فيقول: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ ثمّ يذكر تعالى شرطين آخرين في قبول النّفقة ﴿ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا﴾ من الخيرات والصّدقات ﴿مَنًّا﴾ على من أعطوه، فلا يمنّون به على أحد بقول ولا فعل، ﴿وَلَا أَذًى﴾ أي لا يفعلون مع من أحسنوا إليه مكروهًا يحيطون به ما سلف من الإحسان. فالمنّ: أن يعتدّ المحسن بإحسانه على من أحسن إليه بحيث يقول: أنا قدّمت له كذا، وكذا إظهارًا لميزته عليه. والأذى: أن يتطاول عليه بذلك. ويقول: لولا مساعدتي لم تكن لتنال كذا وكذا، فمن فعل ذلك فقد ذهبت صدقته هباءً منثورًا، ومن سلم من ذلك أنفق ماله ابتغاء وجه الله. وقال زيد بن أسلم رضي الله عنه: إذا أعطيت أحدًا شيئًا وظننت أنّ سلامك يثقل عليه، فكفّ سلامك عنه.

ثمّ وعدهم تعالى بالجزاء الجزيل على ذلك، فقال: ﴿لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ أي ثوابهم على الله، لا على أحد سواه ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ فيما يستقبلونه من أهوال يوم القيامة ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما خلّفوه من الأولاد، ولا ما فاتهم من الحياة الدّنيا وزهرتها، لا يأسفون عليها، لأنّهم قد صاروا إلى ما هو خير لهم من ذلك. وإنّما لم يدخل الفاء في قوله: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾، مع أنّ الموصول قد تضمّن معنى الشّرط، إيهامًا بأنّهم أهل لذلك، وإن لم يفعلوا، فكيف بهم إذا فعلوا.

﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَاللهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾[3].

يقول الحقّ ﷻ: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ قول جميل يقوله الإنسان للسّائل في حال ردّه، حيث لم يجد ما يعطيه، خير وأفضل عند الله من الصّدقة التي يتبعها المنّ والأذى، ومثال ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾: الله يرزقنا وإيّاك رزقًا حسنًا، والله يغنينا وإيّاك من فضله العظيم، وشبه ذلك من غير تعبيس ولا كراهية. ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ للسّائل والعفو عن جفوته وإلحاحه، ﴿خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى﴾ أو منًّا للسّائل.

علم الحقّ ﷻ أنّ الفقير إذا رُدّ بغير نوال شقّ عليه، فربّما أطلق لسانه وأظهر الشّكوى، فأمر المسؤول بالعفو والتّواضع. فلو شاء الحقّ تعالى لأغنى الجميع، لكنّه أعطى الأغنياء ليظهر شكرهم، وابتلى الفقراء لينظر كيف صبرهم، ﴿وَاللهُ غَنِيٌّ﴾ عن إنفاق يصحبه منّ أو أذى، ﴿حَلِيمٌ﴾ عن معاجلة من يمنّ أو يؤذي بالعقوبة.

(١) رواه البخاريّ في صحيحه، عن ابن عبّاس، حديث رقم: ٦٤٩١، كتاب: الرقاق، باب: من هم بحسنة أو بسيئة.
(٢) رواه مسلم في صحيحه، عن أبي مسعود، حديث رقم: ١٨٩٢، كتاب: الإمارة، باب: فضل الصدقة في سبيل الله.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٦٣.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٤﴾﴾.

عن عبد الله بن عمر ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: عَاقٌّ وَالِدَيْهِ وَمُدْمِنُ الْخَمْرِ وَمَنَّانٌ بِمَا أَعْطَى﴾[1] ولهذا قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ﴾ بها على المتصدَّق عليه، ﴿وَالْأَذَى﴾ الذي يصدر منكم اتّجاهه، فأخبر أنّ الصّدقة تبطل بما يتبعها من المنّ والأذى، فلا يبقى ثواب للصّدقة بخطيئة المنّ والأذى، ثمّ قال تعالى: ﴿كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ﴾ أي لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذى كما تبطل صدقة من راءى بها النّاس، فأظهر لهم أنّه يريد وجه الله، وإنّما قصده مدحَ النّاس له، أو شهرته بالصّفات الجميلة، ليُشكَر بين النّاس أو يقال: إنّه كريم، ونحو ذلك من المقاصد الدّنيويّة، مع قطع نظره عن معاملة الله تعالى، وابتغاء مرضاته، وجزيل ثوابه، ولهذا قال: ﴿وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ لأنّ أجره يوم القيامة يكون هباء منثورًا.

ثمّ ضرب تعالى مثل ذلك المرائي الذي يُتبع نفقته مَنًّا أو أذى فقال: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾ فمثله في انتفاعه بصدقته، وتستّره بها في دار الدّنيا، وافتضاحه يوم القيامة، كصفوان وهو جمع «صفوانة»، أي الصّخر الأملس ﴿عَلَيْهِ تُرَابٌ﴾ يستره، فيظنّ الرّائي أنّه أرض طيّبة تصلح للزّراعة، ﴿فَأَصَابَهُ وَابِلٌ﴾ هو المطر الشّديد ﴿فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾ حجرًا يابسًا لا شيء عليه من ذلك التّراب، بل قد ذهب كلّه، وكذلك أعمال المرائين، ينتفعون بها في الدّنيا بثناء النّاس عليهم وستر حالهم، فإذا قدموا يوم القيامة وجدوها باطلة، فتذهب وتضمحلّ عند الله، وإن ظهر لهم أعمال فيما يرى النّاس كالتّراب، ولهذا قال ﷻ: ﴿لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا﴾ فلا ينتفعون بشيء ممّا قدّموا، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ إلى مراشدهم ومصالح دينهم. وفيه تعريض بأنّ الرّياء والمنّ والأذى من صفة الكافر، فلا بدّ للمؤمن أن يتجنّبها.

(١) رواه الحاكم في المستدرك، عن عبد الله بن عمر، حديث رقم: ٧٢٣٥، كتاب: الأشربة، باب: الوجه الثالث، الحديث صحيح.

ما يستخلص من الآيات

في العقيدة

من هدي الآية:

١.فضل النّفقة في الجهاد وأنّها أفضل النّفقات على الإطلاق. والجهاد هو بذل الجهد والمال لنشر دين الله تعالى، كنشر الأخلاق المحمّديّة، وأسماء الله الحسنى وغيرها، وتعليمها للمسلمين ولغير المسلمين.

٢.كلمة: «**في سبيل الله**» تعني الجهاد. فكلّ من يجاهد في سبيل الله أي يبذل الجهد والوقت والمال لنشر دين الله تعالى، تضاعف حسناته الى سبعمائة ضعف أو أكثر، وهذا من خصائص أمّة سيّدنا محمّد ﷺ وهي هدية عظيمة أهداها الله تعالى لهذه الأمّة في رحلة المعراج.

٣.الخَلَفُ لهم الجنّة، والذين ينفقون أرواحهم في سبيل الله فالخَلَفُ عنهم الحقُّ سبحانه، وشتّان بين خلف من أنفق ماله فوجد مثوبته، ومَنْ أنفق حاله فوجد قربته؛ فإنفاق المال في سبيله بالصّدقة، وإنفاق الأحوال في سبيله بملازمة الصّدق، وبنفي كلّ حظّ ونصيب، فترضى لجريان حكمه عليك من غير تعبيس القلب.

٤.المنُّ شهود ما تفعله، والأذى تذكيرُك- لمن أحسنت إليه- إحسانَك. ويقال ينفقون ما ينفقون ثمّ لا يشهدون البتّة أفعالهم ولا أعمالهم. ويقال كيف يمنّون بشيء يستعذرونه ويستحقّونه.

٥.يقال لا يمنّون بفعلهم، بل يشهدون المنّة لله بتوفيقه لهم بذلك.

٦.يقال إقرار منك مع الله بعجزك وجُرْمك، وغفران الله لك على تلك القالة، خيرٌ مِنْ صَدَقَةٍ بالمنِّ مشوبة، وبالأذى مصحوبة.

٧.الردّ الجميل على الفقير إذا لم تجد ما تعطيه، وكذا العفو عن سوء القول منه ومن غيره خير من الصّدقة التي يتبعها أذى، وفي الحديث: «**الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ**»(١).

٨.حرمة المنّ والأذى في الصّدقات وفسادها بها.

٩.حرمة الرّياء، وهي من الشّرك لحديث النّبيّ ﷺ: «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ**» قَالُوا: وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**الرِّيَاءُ**»"(٢).

من أسماء الله الحسنى: الواسع العليم (سبق ذكره)

من أسماء الله الحسنى: الغنيّ

شرح الاسم: الغنيّ

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾(٣).

الغنيّ هو الذي لا يحتاج إلى شيء، بل كلّ شيء محتاج إليه، ابتداءً ودوامًا. فهو الغنيّ عن كلّ شيء.

(١) رواه البخاريّ في صحيحه، عن أبي هريرة، حديث رقم ٢٩٨٩، كتاب: الجهاد والسِّير، باب من آخذ بالركاب ونحوه.
(٢) رواه أحمد في مسنده، عن محمود بن لبيد، حديث رقم: ٢٣٦٣٠، مسند: أحاديث من أصحاب النّبيّ ﷺ، مسند: حديث محمود بن لبيد، الحديث حسن.
(٣) سورة فاطر، الآية: ١٥

التّعلّق باسم الله الغنيّ:

- يكون بأن يستمدَّ الإنسانُ مِن الله كلّ ما يحتاجه حتّى يستغنيَ به عن غيرِه ولا يسألَ حوائجَه إلَّا منه ولا يطلبَ العون إلَّا منه ولا يطمعَ إلَّا بهِ وبالفوزِ بقربِه ورِضاه.
- استمداد الغنى منه وإظهار الفاقة، والفقر إليه أبدًا.

من أسماء الله الحسنى: الحليم (سبق ذكره)

في الأمر والنّهي

العمل بالآيات:

- تصدّق اليوم بصدقة لنشر دين الله تعالى، ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾.
- تواصل اليوم مع محتاج، وقل له قولًا جميلًا، وادع له، وتبسّم في وجهه؛ وتصدّق عليه مع اعتقادك أنه هو صاحب الفضل عليك، ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾.

من الكبائر: المَنّ

المَنّ هو أن يُحدّث الإنسانُ نفسه بأنّه صاحبُ فضلٍ على هذا الّذي أحسن إليه، أمّا الأذى فهو أن يُمَنّن مَن أحسنَ إليه بأن يخرج ما في نفسه إلى العلن، فيتأذّى من يسمع.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ* قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾[2]، ﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ﴾[3].

وقوله ﷻ: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[4].

كما وردت الأحاديث الكثيرة بالنّهي عن المنّ في الصّدقة، فعن أبي ذر رضي الله عنه، عن النّبيّ ﷺ، قال: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» قَالَ: فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلَاثَ مِرَّاتٍ، قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «الْمُسْبِلُ- أي المتكبّر-، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ»"[5].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه، عن النّبيّ ﷺ قال: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَاقٌّ، وَلَا مَنَّانٌ، وَلَا مُكَذِّبٌ بِقَدَرٍ، وَلَا مُدْمِنُ خَمْرٍ»[6].

وهذا يعني بأنّ الله يُعْرِضُ عن هؤلاء يومَ القيامَةِ فلا يُطهّرُهُم مِن دَنَسِ ذُنوبهم، وقوله: منّان أي الّذي لا يعطي شيئًا إلَّا مِنّة، فإذا تصدّق على أحدٍ أو قدّم معروفًا أو فعل خيرًا فلا يزال يُذَكّرُهُ بِهِ ويقولُ له: ألم أُحْسِنْ إلَيْكَ؟ ألم أَتَصَدَّقْ عليك؟ قد فعلت لك كذا وكذا، فيكون هذا على وجه التّعيير له والترفّع عليه.

---

(١) سورة المُدّثر، الآية: ٦. (٢) سورة البقرة، الآيتان: ٢٦٢ – ٢٦٣. (٣) سورة البقرة، الآية: ٢٦٤.
(٤) سورة الحُجُرات، الآية: ١٧.
(٥) رواه مسلم في صحيحه، عن أبي ذر، حديث رقم: ١٠٦، كتاب: الإيمان، باب: بيان غلظ تحريم إسبال الإزار.
(٦) رواه الطّبرانيّ في مسند الشاميين، عن أبي الدرداء، حديث رقم: ٢٢١٢، مسند: ما انتهى إلينا من مسند يونس بن ميسرة، مسند: يونس بن ميسرة عن أبي إدريس الخولاني.

سمع ابن سيرين يومًا رجلًا يقول لرجلٍ: فعلتُ إليك وفعلت، فقال له ابن سيرين: "اسكُتْ فلا خَيْرَ في المعروف إذا أُحصي"[١]. وقد مدحَ الله سبحانه المُنفقين الباذلينَ للخير الّذين لا يَمُنّون على مَن أحسنوا إليهم، وينسون معروفهم في الدُّنيا راجينَ مِنَ الله الأَجْرَ وَالثّواب، فقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ ما أَنْفَقُوا مَنًّا وَلا أَذىً لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٢].

من الكبائر: الرّياء

وهو حُبّ الإنسانِ أن يراه النّاس، ويسمعوا بما فَعَلَ مِن خير. وهذا هو الدّافعُ الأساسُ لِعَمَلِهِ. قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ* الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ* الَّذِينَ هُمْ يُراءُونَ* وَيَمْنَعُونَ الماعُونَ﴾[٣].

وأَصْلُ الرّياء: طلبُ المنزلة في قلوبِ النّاس بإرائِهم خِصالَ الخير، فهو إرادةُ العباد بطاعة الله. وقد قال الحسن البصريّ: أصْل الرِّياء حبُّ المحمدَة. والرِّياء أنْ تطلبَ ثوابَ عَمَلِكَ في دار الدُّنيا، وإنَّما العمل للفوز برضا الله وللآخِرة. وهو أيضًا أن يعملَ لغير الله، وللسُّمعة فلا يُخفي عملَه لله، بل يُحدِّث به النّاس. قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَخْوَفَ ما أَخافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ" قالوا: وما الشِّرْكُ الأَصْغَرُ يا رَسولَ اللهِ؟ قالَ: "الرِّياءُ، يَقولُ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- لَهُمْ يَوْمَ القِيامَةِ: إذا جُزِيَ النّاسُ بِأَعْمالِهِمْ: اذْهَبوا إلى الَّذينَ كُنْتُمْ تُراؤُونَ في الدُّنْيا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدونَ عِنْدَهُمْ جَزاءً»[٤].

قال الله ﷻ: ﴿فَمَنْ كانَ يَرْجُو لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[٥]؛ أي: لا يُرائي بعمله أحدًا ما دام أنَّه يريد لقاءَ ربّه ﷻ وقال: ﴿وَقَدِمْنا إِلى ما عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْناهُ هَباءً مَنْثُورًا﴾[٦]؛ أي: الأعمال الّتي قُصِد بها غير الله تعالى بطَل ثوابُها، وصارتْ كالهباء المنثور.

قال بعضُ الحُكماء: (مثَلُ مَن يعمل رياءً وسُمعةً، كمَثَل مَن ملأ كيسَه حصًى، ثمّ دخَل السّوق؛ ليشتريَ به، فإذا فتَحَه بين يدي البائع افتُضِح، وضرَب به وجهه، فلم يحصل له به منفعةٌ سوى قولِ النّاس: ما أملأَ كيسه، ولا يُعطى به شيء، فكذلك مَن عمِل للرّياء والسُّمعة، لا منفعةَ له في عمله سوى مقالة النّاس، ولا ثوابَ له في الآخرة)[٧].

وقال الفُضَيل بن عِياض: «ترْك العمل لأجْلِ النّاس رِياء، والعمل لأجْل النّاس شرْك، والإخلاص أن يعافيَك الله منهما»[٨].

باب تحريم الرّياء

قال الله تعالى: ﴿وَما أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفاءَ﴾[٩].

وقال ﷻ: ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذى كَالَّذِي يُنْفِقُ مالَهُ رِئاءَ النّاسِ﴾[١٠].

وقال تعالى: ﴿يُرآءُونَ النّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[١١].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»[١٢].

---

(١) ذكره الماوردي في أدب الدُّنيا والدِّين، باب: في البرّ، ج١، ص٢٠٤. /٢٠٤.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٦٢. (٣) سورة الماعون، الآيات: ٤ - ٧.
(٤) رواه أحمد في مسنده، عن محمود بن لبيد. رقم الحديث: ٢٣٦٣٠. كتاب: أحاديث رجال من أصحاب النّبيّ ﷺ. باب: حديث محمود بن لبيد.
(٥) سورة الكهف، الآية: ١١٠. (٦) سورة الفرقان، الآية: ٢٣.
(٧) عن الهيتميّ في الزواجر عن اقتراف الكبائر، الباب الأول: في الكبائر الباطنة وما بتبعها، ٢٨/١.
(٨) ذكره ابن هوازن القشيريّ، في الرسالة القشيريّة، باب: الرّضا، ٣٦١/٢.
(٩) سورة البينة، الآية: ٥. (١٠) سورة البقرة، الآية: ٢٦٤. (١١) سورة النساء، الآية: ١٤٢.
(١٢) رواه مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة، حديث رقم: ٢٩٨٥، كتاب: الزهد والرقائق، باب: من أشرك في عمله غير الله.

وعنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ»[1]. «جَرِيء» بفتح الجيم وكسر الرّاء وبالمدّ أي شجاع حاذق.

وعن جندب رضي الله عنه، قال: قال النّبيّ ﷺ: «مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللهُ بِهِ»[2].

«سَمَّعَ» بتشديد الميم، ومعناه: أظهر عمله للنّاس رياء «سَمَّعَ اللهُ بِهِ» أي فضحه يوم القيامة، وقوله: «وَمَنْ يُرَائِي» أي من أظهر للنّاس العمل الصّالح ليعظم عندهم «يُرَائِي اللهُ بِهِ» أي يُظهر سريرته على رؤوس الخلائق.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللهِ لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ غَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[3] يعني ريحها.

في الأخلاق والآداب

من الأخلاق المُحَمَّديّة: فِعْلُ الخيرِ والعملُ التَّطوّعيُّ مع الإخلاصِ فيه بلا رياءٍ ولا سُمْعَةٍ.

هذا الخُلُق مُستَمَدٌّ من أسماء الله تعالى **"المعطي المانع الضّارّ النّافع الواحِد الأَحَد"**

والتّخلّقُ باسمَيْ الله تعالى **"المعطي والمانع"** هو بأَن تحبَّ العطاء، فتُعطي حيث أمرَك وتمنعُ حيث أمرَك. فإذا مَنَعْتَ لم تمنع بُخلًا، وإنّما لرجاء مصلحة وخير في المجتمع.

والتّخلّقُ باسمَيْ الله تعالى **"الضّارّ والنّافع"** هو بأن تُحبَّ نشرَ الخيرِ وأنّ يَعُمَّ النّفعُ وتعملَ على منعِ الضّرِّ عن نفسِك وعَن غيرك.

والتّخلّقُ باسمَيّ الله تعالى **"الواحد والأحد"** هو بألّا تبتغي بعملِك غيرَ وَجهِهِ الكريم، فلا يَتَعَلَّقُ قلبُك بِسِواه ولا يهمُّك أن يرى عملَك غيرُه ﷻ.

- إعطاء المحتاجين ومساعدة الضّعفاء وتفريج همّ المهمومين، وإنفاق المال على من ضاقت به الدُّنيا... هذا النّوع من العمل هو انعكاس للعطاء دون مقابل... والمساعدة الصّحيحة دون منّ... وإنفاق المال أو الجهد بلا نفاق... والبعد عن الفرديّة والتّخلّص من الأنانيّة.
- إنّ العمل التّطوعيّ ليس ترفًا بل هو حاجة فرديّة اجتماعيّة. وعلى كلّ منّا أن يعطي جزءًا من وقته وجزءًا من صدق مشاعره وجزءًا من ماله لهذه العبادة. فالصّحابة الكرام الّذين كانوا يجاهدون في سبيل الله، ما كانوا يتقاضون رواتب

(١) رواه مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة، حديث رقم: ١٩٠٥، كتاب: الإمارة، باب: من قاتل للرياء والسمعة استحق النار.
(٢) رواه البخاريّ في صحيحه، عن جندب، حديث رقم: ٦٤٩٩، كتاب: الرقاق، باب: الرياء والسمعة.
(٣) رواه الحاكم في المستدرك، عن أبي هريرة، حديث رقم: ٢٨٨، كتاب وباب: العلم، الحديث إسناده صحيح.

من رسول الله ﷺ بل كان معظمهم ينفق من ماله الخاصّ ليجهّز عتاده وفرسه، لينال شرف المشاركة في الدّفاع عن هذا الدّين ونشره.

- لو علِم النّاس ما في العملِ التّطوعيّ من إيجابيّات لتهافتوا عليه ولشجّعوا أبناءُهم وكلّ من حولهم... فالعمل التّطوعيّ يبني الشّخصيّة ويجعل منك إنسانًا إجتماعيًّا تشعر بالآخرين وتشعُر بالانتماء الفعلي للمنظومة البشريّة، تفرح لفرحهم وتحزن لحُزنِهم. لم تعُد فردًا بل أنت جُزء من مجموعة في مجتمع متكامل.
- السّعادةُ تَظهَرُ عِنْدَما تُعطي لا عِنْدَما تَأخُذ. وهنا الكِبر يتلاشى شيئًا فشيئًا والنّفس تتهذّب والرّوح تَسمو... ولكن حذارِ مِن الرّياء «**اللّهمَّ إنّي أستغفرك ممّا زعمت أنّي أردت به وجهك فخالط قلبي فيه ما قد عَلِمْتَ**». قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ يُسَمِّعْ يُسَمِّعُ اللهُ بِهِ، ومَن يُرائي يُرائي اللهُ به**»[1].
- الرّياء والسّمعة هما أن تُحبّ أن يراك النّاس وأنت تفعل الخير أو أن يسمعوا بك، وعندها لا يكون عملُك خالصًا لوجهه الكريم بل حتّى يراك النّاس ويعلموا بعملِك فيمدحوك.
- عندما يكون العمل الخيريّ خالصًا لله يُثمر... ولكن حذار!
- فالإخلاص يحتاجُ إلى نيّةٍ صادقةٍ قبل العمل وفي العمل وبعد العمل لأنّ الشّيطان يُوسوس لكّ في كلّ المراحل.

رُوي عن علي رضي الله عنه قوله: كونوا لِقَبولِ العمل أشدُّ اهتمامًا مِنكُم بالعمل، ألم تسمعوا قول الله -عزّ وجلّ-: ﴿**إِنَّما يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ المُتَّقينَ**﴾[2].

من الأخلاق المحمّدية: الكرم

- وفوائدُ الكَرَمِ كثيرةٌ، فهو دَليلُ قوّةِ إيمانٍ وَحُسنِ ظنٍّ باللهِ الرّزّاقِ الكريمِ، وكرامَةٌ في الدُّنيا ورفعُ درجاتٍ في الآخِرة، وسببٌ لكثرةِ المُحبّينَ وقلّةِ الأعداءِ. كما أنّه يَزيدُ التّكافلَ الاجتماعيَّ والودَّ بين النّاسِ، ويَجلبُ البَرَكَةَ في الرّزقِ والعُمْرِ (أي يُضاعِفُ اللهُ أموالَ الكريمِ أضْعافًا مُضاعفةً ويجعلُ سنينَ عمرِه مباركةً)، وَيُطهّرُ النّفسَ مِنَ الأنانيّةِ والشُّحِّ وَحبِّ التَّملُّكِ.
- إنَّ سلوكَ الكرمِ يُحقّقُ السّعادةَ، فَعِندما تُعطي النّاسَ مِن فضلِ اللهِ عليك، يَتَحَرَّكُ فيك شَيءٌ يَجعلُك سعيدًا. أمّا إذا قصدْتَ بِهذا العطاء ثناءَ النّاسِ عليكَ، صارَ رياءً فلا تَقرَبُكَ السّعادة ولا يأتيك الأجر.
- وَالكَرَمُ شيمَةُ الفُضَلاء، فَالكريمُ يُعطي ممّا عندَهُ، سواءٌ أكان مالًا، أو كلامًا، أو وقتًا أو عِلمًا، أو قضاءً لحوائجِ العِباد، أو بذلَ النّصيحةِ لِمَن هو محتاجٌ إلى النّصحِ. وبالتّأكيدِ لا يَستطيعُ الكريمُ إعطاءَ النّاس جميعًا، لكنِ الحلُّ أوجدَه لنا النّبيّ ﷺ حينَ قال: «**إنَّكم لن تسعوا النّاسَ بأموالِكم ولكن يسعُهم منكم بَسْطُ الوجهِ وحُسنُ الخُلُقِ**»[3]، فإنّ بشاشةَ وجهِنا وتعامُلَنا مع النّاسِ بالأخلاقِ الحَسَنَةِ هي طريقتُنا لإكرامِهم! وَكثيرٌ مِنَ النّاس يَكنِزونَ مالَهم وَيَخُصّونَ أبناءَهم فيه فقط، ولو أنّهم أنفَقُوا منهُ وأعطَوْا زكاةَ أموالِهم (الفريضة)، وزادوا عنهُ بالصّدقاتِ، لَما بَقِيَ فقيرٌ في العالم ولكان الخيرُ عادَ عليهم مُضاعَفًا... فإن كانَتِ الصَّدَقَةُ صَعْبَةً عَلَيْكَ، فَقَد قالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ: "يا رَسولَ اللهِ أيُّ الصَّدَقَةِ أفْضَلُ؟" فقالَ ﷺ: «**أنْ تَصَدَّقَ وأنْتَ صَحِيحٌ حَرِيصٌ، تَأْمُلُ الغِنى، وَتَخْشى الفَقْرَ، ولا تُمْهِلْ حَتّى إذا بَلَغَتِ**

(١) الراوي: جندب بن عبد الله، المحدث: مسلم، المصدر: صحيح مسلم، الرقم: ٢٩٨٧، خلاصة حكم المحدث: صحيح.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٢٧.
(٣) رواه البزّار في مسنده، عن أبي هريرة. رقم الحديث: ٨٥٤٤. كتاب وباب: أبي حمزة أنس بن مالك. الحديث رجاله ثِقات.

الحُلقومَ، قُلْتَ لِفُلانٍ كَذا، ولِفُلانٍ كَذا، وَقَدْ كانَ لِفُلانٍ»[١]. أي إنَّكَ تخافُ الفقرَ في حياتِكَ، حتى إذا حَضَرَتْك الوفاةُ عَلِمْتَ أنّك مُفارِقٌ مالَكَ وَعِزَّك، فَاجْتَهَدتَ لِتُعطيَ كُلَّ ذي حقٍّ حقَّهُ.

- فكن معطاءً لفلان وفلان وفلان، فإنّ الله يجزي المرء على نواياه وأفعاله، كما جاء عن رَسولِ اللهِ ﷺ: «إِصْنَعِ المعْروفَ إلى مَنْ هُوَ أَهْلُهُ؛ وإلى غَيْرِ أهْلِهِ، فَإِنْ أَصَبْتَ أَهْلَهُ، أَصَبْتَ أَهْلَهُ، وإِنْ لَمْ تُصِبْ أَهْلَهُ، كُنْتَ أَنْتَ أَهْلَهُ»[٢]. ولا تجعل معاصي الآخرين سببًا لامتناعك عن صنع المعروف لهم، فقد علّمنا النّبيّ ﷺ: «رَأْسُ العَقْلِ بَعْدَ الدّينِ: التَّوَدُّدُ إلى النّاسِ، واصْطِناعُ الخيرِ إلى كُلِّ بَرٍّ وفاجِرٍ»[٣]

التوجيهات:

- إذا كان الإنفاق بحبّ وتواضع ولا يتبعه منّ ولا أذى؛ فإنّه يدفع عن صاحبه الخوف والحزن في الدّنيا، ويوم القيامة، ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾.
- الكلمة الطيّبة والعفو عن النّاس أفضل من صدقة فيها أذىً، ومِنّة، ﴿قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ وَمَغۡفِرَةٌ خَيۡرٞ مِّن صَدَقَةٖ يَتۡبَعُهَآ أَذٗى وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٞ﴾.
- الرّياء دليل على ضعف إيمان صاحبه بالله واليوم الآخر، ﴿كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾.

في السّيرة والشّمائل

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه: "أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النّبيّ ﷺ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَأَعْطاهُ إيّاهُ، فَأَتى قَوْمَهُ فَقالَ: «أَيْ قَوْمِ أَسْلِمُوا، فَوَاللهِ إنَّ مُحَمَّدًا لَيُعْطي عَطاءً ما يَخافُ الفَقْرَ» فَقالَ أَنَسٌ: «إنْ كانَ الرَّجُلُ لَيُسْلِمُ ما يُرِيدُ إلّا الدُّنْيا، فَما يُسْلِمُ حَتّى يَكونَ الإسْلامُ أَحَبَّ إلَيْهِ مِنَ الدُّنْيا وَما عَلَيْها»"[٤].

مِن حياةِ "عبد الله بن عمر" رضي الله عنهما:

مَن كانَ يخشى أن يتعرّضَ للاستغلالِ بسببِ طيبةِ قَلبِهِ وواسعِ كرمِهِ، فَلْيَعْلَمْ أنَّ هذا لن يَضرَّه بِشيء، فَقَد كانَ عبد اللهِ بنُ عُمَرَ رضي الله عنه إذا رأى مِن أحدِ العاملين عنده همّةً في طاعَةٍ وَصَلاةٍ حَسَنَةٍ أعتَقَهُ. وكانَ العُمّال يعلمونَ ذلك عنه، فيُزايِدون في العِبادَةِ أمامَه طلبًا للعِتْقِ، فَيعتِقُهُم. فقيل له: "إنّهم يَخْدَعونكَ!"، فَيَقولُ ابْنُ عُمَرَ: "فَمَنْ خَدَعَنا باللهِ، انخَدَعْنا لَهُ". فكان لا يُبالي إذا استغلَّ أَحَدٌ كَرَمَهُ، وقد قالَ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ ما غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيمِ﴾[٥]. فنحنُ نغترُّ باللهِ ونَطمَعُ دائمًا بِكَرَمِه، وهو يَفيضُ علينا بِعطاياه، فهنيئًا لنا حين يَستغلُّ أحدٌ كَرَمَنا! ونحن واعون، عارفون وراضون بذلك.

(١) رواه البخاريّ في صحيحه، عن أبي هريرة. رقم الحديث: ٢٧٤٨. كتاب: الوصايا. باب: الصّدقة عند الموت.
(٢) كنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال. عن ميمونة بنت الحارث. رقم الحديث: ١٦٢٣٨. كتاب: حرف الزّاي. باب: الفصل الثّاني: في آداب الصّدقة.
(٣) شعب الإيمان للبيهقيّ. حديث رقم: ٨٠٦٢. باب: السّابع والخمسون باب حسن الخلق. فصل في طلاقة الوجة وحسن البشر لمن يلقاه من المسلمين.
(٤) رواه مسلم في صحيحه، عن أنس، حديث رقم: ٢٣١٢، كتاب: الفضائل، باب: ما سئل رسول الله ﷺ.
(٥) سورة الإنفطار، الآية: ٦ .

في السّلوك

الإشارة: التقرُّب إلى الله تعالى يكون بالعمل البدني وبالعمل المالي، وبالعمل القلبي، أمّا العمل البدني، فيدخل فيه العمل اللّساني، فقد ورد فيه التّضعيف بعشر وبعشرين وبثلاثين وبخمسين وبمائة، وبأكثر من ذلك أو أقلّ، وكذلك العمل المالي: فقد ورد تضعيفه إلى سبعمائة، ويتفاوت ذلك بحسب النيّات والمقاصد، وأمّا العمل القلبي: فليس له أجر محصور، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[1]، فالصّبر، والخوف، والرّجاء، والورع، والزّهد، والتّوكل، والمحبّة، والرّضا، والتّسليم، والمعرفة، وحسن الخلق، والفكرة، وسائر الأخلاق الحميدة، إنّما جزاؤها: الرّضا، والإقبال والتّقريب، وحسن الوصال. قال تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾[2] أي أكبر من الجزاء الحسيّ الذي هو القصور والحور.

الإشارة: يُفهم من الآية أن حسن الخلق، ولين الجانب، وخفض الجناح، وكف الأذى، وحمل الجفاء، وشهود الصفاء، من أفضل الأعمال وأزكى الأحوال وأحسن الخلال، وفي الحديث: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَاتِ، قَائِمِ اللَّيْلِ صَائِمِ النَّهَارِ»[3].

الإشارة: تصفية الأعمال على قدر تصفية القلوب، وتصفية القلوب على قدر مراقبة علّام الغيوب، والمراقبة على قدر المعرفة، والمعرفة على قدر المشاهدة. والمشاهدة تحصل على قدر المجاهدة، ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[4].

والحاصل أنّ من لم يتحقّق بمقام الفناء لا تخلو أعماله من شوب الخلل، ومن تحقّق بالزّوال لم ير لنفسه نسبة في عطاء ولا منع، ولا حركة ولا سكون، ولم ير لغيره وجودًا حتّى يرجو منه نفعًا ولا خيرًا. وفي بعض الإشارات: **يا من يُرائي أَمْر مَنْ تُرائي بيد من تعصيه.** وفي تمثيله بالحجر الصّفوان إشارة إلى قساوة قلبه ويبوسه طبعه، فلا يرجى منه خير قطّ.

في الإعجاز العلميّ

في أشراط السّاعة

في الأدعية والأذكار

من دعاء النّبيّ ﷺ لطهارة القلب من النّفاق: «اللَّهُمَّ طَهِّرْ قَلْبِي مِنَ النِّفَاقِ، وَعَمَلِي مِنَ الرِّيَاءِ، وَلِسَانِي مِنَ الْكَذِبِ، وَعَيْنِي مِنَ الْخِيَانَةِ، فَإِنَّكَ تَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ، وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ»[5] واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين يا أرحم الرّاحمين وصلّ اللهمّ على سيّدنا محمّد وآله وصحبه أجمعين.

(١) سورة الزمر، الآية: ١٠.
(٢) سورة التوبة، الآية: ٧٢.
(٣) رواه الحاكم في المستدرك، عن عائشة، حديث رقم: ١٩٩، كتاب: الإيمان، باب: وأما حديث سمرة بن جندب، الحديث صحيح.
(٤) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.
(٥) رواه البيهقي في الدعوات، عن أم معبد، حديث رقم: ٢٥٨، باب: جامع ما كان يدعو به النّبيّ ﷺ.